

تقرير عن:

المؤتمر الدولي المنعقد لمناسبة الذكرى الخمسين لإصدار البيان المتضمن منح الاستقلال للدول والشعوب المستعمرة

الجزائر، ١٣ - ١٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠

عبد الحسين شعبان(*)

باحث ومفكر عربي.

- ٢ -

لللقاء التي انعقد فيها المؤتمر تاريخ عريق أيضاً؛ فهي التي شهدت تسليم الرئيس كنيث كواندا رئاسة القمة الأفريقية للرئيس الجزائري هواري بومدين في أيلول/سبتمبر ١٩٧٣، وجمعت شاه إيران محمد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي حينها صدام حسين خلال القمة الأولى للبلدان المصدرة للنفط، حيث توجت الوساطة الجزائرية، ولاسيما جهود الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة (وزير الخارجية حينها) بالنجاح، وصوّرت الكاميرات آنذاك عناق «الإخوة الأعداء»، حيث تم التوصل الى توقيع اتفاقية ٦ آذار/مارس ١٩٧٥ بين العراق وإيران، التي أدت إلى إنهاء الحركة المسلحة الكردية حينها، مقابل تنازلات قدّمها العراق إلى إيران، ولاسيما في شط العرب، بقبول خط التالوك. لكن تلك الاتفاقية ذاتها أصبحت بؤرة توتر تُضاف إلى العقد التاريخي، وهي ما تزال

- ١ -

في قاعة قصر الأمم، التأم في الجزائر العاصمة شمل المؤتمر الدولي، بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لمنح الاستقلال للدول والشعوب المستعمرة، وذلك بحضور زعامات تاريخية وشخصيات سياسية وفكرية وثقافية من أنحاء العالم كافة، لاسيما من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت في دورتها الخامسة عشرة، بتاريخ ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٠، إعلاناً عالمياً صار اسمه ملازماً لتصفية الاستعمار (الكولونيالية) وريفاً لحق تقرير المصير. وقد اكتسب الإعلان ذو الرقم (١٥١٤) أهمية خاصة، لاسيما أنه جاء تنويعاً لنضال شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، الأمر الذي أعطاه رمزية كبيرة اقترنت بتحرر الكثير من الشعوب والبلدان، ونيلها استقلالها.

جمهورية فيتنام سابقاً **نيفين ثي بينه**، وأعقبها **تابو مبيكي** الرئيس السابق لجمهورية جنوب أفريقيا. وكانت الكلمة الختامية لـ **عبد العزيز بلخادم**، ممثل رئيس الجمهورية الجزائرية، علماً بأن رئاسة المؤتمر تولّاها **أولوسيجون أوبسانجو**، الرئيس السابق لنيجيريا.

- ٤ -

انقسم المؤتمر إلى أربع ورش عمل: بحثت **الأولى** في مساهمة الإعلان العالمي الرقم (١٥١٤) لتحرير الشعوب، وكانت **الثانية** بعنوان: دور وسائل الإعلام والسينما في التعبير عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، وكانت **الثالثة** قد خُصصت لمساهمة المرأة، في حين تم تكريس **الرابعة** لدور الشباب في تقدّم الشعوب.

أدار ورشة العمل الأولى **سليم أحمد سليم**، وزير خارجية تنزانيا الأسبق وأمين عام سابق لمنظمة الوحدة الأفريقية وعضو مجموعة العقلاء التي يترأسها بن بله، والتي عقدت اجتماعاً على هامش المؤتمر. وناقشت هذه الورشة في أسس ومديات الإعلان العالمي ١٥١٤ وحصيلة التنفيذ، وتوقّفت عند مسؤولية وصلاحيّة الإعلان بعد مرور ٥٠ عاماً على صدوره.

وتوجّهت ورشة العمل الثانية، التي أدارها **خوان بابلو كارديناس** (من التشيلي) وبمشاركة **أحمد بجاوي** (من الجزائر)، لمناقشة قضايا الإعلام والسينما ودورهما في تحرير الشعوب، وانقسمت الى ثلاثة موضوعات فرعية، هي: الصحافة ووسائل الاعلام في خدمة النضال ضد الاستعمار؛ السينما والإبداع الفني والحقيقة

محطّ أخذ ورد، ونقاش وجدال ونزاعات وحروب على مدى ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمان. ولعل فصلها الأكثر مأسوية كان الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، التي تُعتبر من تداعياتها عملية غزو الكويت عام ١٩٩٠ وانفلات أمن الخليج، والحرب على العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣.

- ٣ -

بدأ الرئيس كواندا، عميد رؤساء الدول الأفريقية، خطابه بأغنية راقصة، صفّق لها الحاضرون طويلاً، لاسيما لإيقاعها وحركاتها. ثم وجّه كلامه إلى الرئيس الجزائري الأسبق **أحمد بن بله**، الذي كان يجلس في مواجهة منصّة الخطابة، قائلاً: نحن ساهمنا في تحرير أفريقيا، وذلك بشيء من الحنين والكبرياء والرومانسية الثورية.

وبدت جلسات المؤتمر غير تقليدية؛ إذ بدأت من المجتمع المدني، خلافاً لما جرت عليه العادة، حيث كانت تبدأ من الجهات الرسمية أو شبه الرسمية، لا سيما بحضور من يمثل الجهة المضيفة، خصوصاً إذا كان هناك من ينوب عن رئيس الجمهورية أو الملك أو الأمير. إلّا أن جلسات المؤتمر تصدرها هذه المرة الاستماع الى خطاب غير رسمي للمجتمع المدني بمناسبة يوم القضاء على الكولونيالية، حيث تحدث **بيار غالون**، وتلاه **دافيد أوتاوي** ممثلاً لوسائل الإعلام، ثم بدأ **تاي بروك زرهون**، الأمين العام المساعد للشؤون السياسية ممثلاً للأمين العام للأمم المتحدة، وأعقبه **عمرو موسى** الأمين العام لجامعة الدول العربية، وتلاه **جون بينينغ** رئيس منظمة الوحدة الأفريقية، ثم جاء دور نائبة رئيس

تكثيف نشاطاتهم في توعية وتعبئة الرأي العام العالمي حول عدالة طموحات الشعوب.

ومن الجدير بالذكر أن صدور الإعلان العالمي لتصفية الكولونالية عام ١٩٦٠ كان مناسبة تم استلهاها لاحقاً بصدور قرارات من الأمم المتحدة بشأن السيادة الدائمة للدول على مواردها الطبيعية، لاسيما القرار الرقم (١٨٠٣)، الصادر في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢ (الدورة ١٧)، والقرار الرقم (٣٢٨١)، الصادر في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤ (الدورة ٢٩)، بخصوص حقوق وواجبات الدول الاقتصادية وغيرها.

وكان مؤتمر الجزائر بمناسبة الذكرى الخمسين لتصفية الكولونالية ومنح الشعوب المستعمرة حقها في الاستقلال والحرية فرصة لتأكيد أهمية التعاون بين دول (الجنوب - الجنوب)، بالإشارة إلى الاندماج الإقليمي في ما بينها، للمساهمة في الحفاظ على استقلال البلدان المستعمرة سابقاً، وتسهيل مشاركتها في الاقتصاد العالمي لاحقاً. ولعلها كانت دعوة إلى إقامة شراكات استراتيجية بين دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

- ٥ -

إن احتفال الجزائر، ومعها الكثير من قادة حركات التحرر الوطني الذين رسموا صورة الاستقلال، ويرصدون اليوم ضبابية تلك الصورة، لاسيما بعد اختلال موازين القوى ونكوص الكثير من البلدان والحركات عن توجهاتها الاستقلالية، خصوصاً بعد انحلال الكتلة الاشتراكية، يعني في ما يعنيه الرغبة في المراجعة والنقد، والإصرار على

الوثائقية في خدمة أهداف التحرر الوطني؛ دور وسائل الإعلام كحامل لاستعادة ذاكرة الشعوب، والحفاظ عليها في كفاحها من أجل الاستقلال والحرية.

وكانت ورشة عمل المرأة (الورشة الثالثة) بإدارة ماريّا داكراسا أموري، وزيرة خارجية ساوتوموي وبرنسيب. وأدار ورشة عمل الشباب (الورشة الرابعة) التانزاني موشوكولوا ليونيداس، الأمين العام السابق لحركة الشباب الأفريقي، الذي سبق له أن عاش في الجزائر ما يزيد على عقدين من الزمان.

وتم خلال المؤتمر عرض فيلم «الخارجون على القانون»، وزار المؤتمرون «متحف المجاهد». وبعد مناقشات دامت يومين (١٣ و ١٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠)، صدر إعلان الجزائر، الذي ذكر بالتضحيات التي تحملتها الشعوب المستعمرة في سبيل حريتها وحقها في تقرير المصير والاستقلال، مع إشادة خاصة بدور النساء والشباب. كما نوّه إعلان الجزائر بالإعلان الرقم (١٥١٤).

وتوقّف المشاركون للإشادة بدور وسائل الإعلام والسينما في التوعية بجرائم الاستعمار، وفي الدفاع عن الأهداف والمقاصد التي حددها الإعلان، مؤكدين أن الاستعمار بجميع أشكاله ومظاهره، يتعارض مع أهداف ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة، ومع قواعد القانون الدولي. وفي الوقت الذي أعرب المشاركون عن فاعلية ووجاهة الإعلان العالمي، أعلنوا تضامنهم مع الشعوب التي تناضل من أجل حقها في التحرر بموجب الإعلان، مشجعين الكتاب والسينمائيين والصحفيين على مواصلة

وهو شيء منه وكاسترو، صعد دور حركة عدم الانحياز عام ١٩٦١، لا سيما بعد مؤتمر باندونغ التاريخي الذي انعقد عام ١٩٥٥.

وقد كانت مقاومة الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني، التي قادت الثورة منذ عام ١٩٥٤ ضد الاستعمار الفرنسي، سبباً هاماً في إقرار الأمم المتحدة القرار الرقم (١٥١٤)، حيث حصلت الجزائر على استقلالها وحقها في تقرير مصيرها بعد توقيع اتفاقية إيفيان مع فرنسا، وإعلان نتائج الاستفتاء عام ١٩٦٢.

ولا يمكن أن يستقيم الحديث عن الإعلان المشار إليه، وعن تصفية الكولونيالية، بدون الإشارة إلى دور الاتحاد السوفياتي السابق ووزير خارجيته أندريه غروميكو، الذي كان في ظل قيادة نيكيتا خروشوف قد ساهم مساهمة كبيرة في تعبئة الجهود في الأمم المتحدة وخارجها من أجل انعتاق الشعوب وتحريرها، وإحراز استقلالها وتمكينها من ممارسة حقها في تقرير مصيرها، واختيار نظامها الاجتماعي وحقها في التصرف في ثرواتها الطبيعية.

لقد ساهم صدور الإعلان في تحريك الضمير العالمي، مثلما شكّل منعطفاً تاريخياً في تطوير الإطار القانوني لحق الشعوب في تقرير مصيرها، وإن يكن هناك التباس وجدل بين مفهوم الشعب (People) ومفهوم الأمة (Nation) ومفهوم الدولة (State)، وفي ما إذا كانت الأقلية تشكل شعباً، وهو الأمر الذي تم استدراكه بعد يوم واحد، حيث صدر الإعلان، الذي قدّم خيار الاتحاد الاختياري أو الارتباط بدولة مستقلة، للأقاليم غير المحكومة ذاتياً أو غير المستقلة.

تعزيز الإرادات الوطنية للبلدان التابعة والمستعمرة سابقاً. ولعل ذلك يأتي في اتساق مع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الرقم (٥٦٦) (الدورة ٦٤) الصادر في ٢٩ حزيران/يونيو ٢٠١٠ والذي يعطي الفرصة للمراجعة، لاسيما للوقوف عند التحوّلات الجذرية التي طرأت على الساحة الدولية، حيث تشارك الأقاليم المحتلة سابقاً، التي أصبحت دولاً مستقلة وأعضاء في الأمم المتحدة، في تحقيق أهدافها، تلك التي لا يمكن إقامة سلام عالمي بدون مشاركتها الفعالة.

وعلى الرغم من صدور الإعلان العالمي منذ خمسة عقود من الزمان، فقد فشل المجتمع الدولي في التخلص من هذه الظاهرة المشينة في عالمنا المعاصر؛ إذ ما يزال الاستعمار يعيش بين ظهرانينا، ولعل المثال الصارخ هو الاستعمار الاستيطاني الإجلائي في فلسطين، الأمر الذي يتطلب شحذ جميع القوى للتخلص منه ووضع حد له واستعادة الشعب العربي الفلسطيني لوطنه وإقامة دولته المستقلة طبقاً لحق تقرير المصير، الذي هو حق غير قابل للتنازل أو للتصرف، لاسيما أنه قاعدة آمرة (Jus cogens) من قواعد القانون الدولي، كما أن حق تقرير المصير لا يسقط بالتقادم.

لقد كان استنكار صدور قرار الأمم المتحدة الرقم (١٥١٤) مناسبة لاستعادة دور الأمم المتحدة في الستينيات وما بعدها، وخصوصاً في ظل توازن القوى الدولي وصعود نجم حركات ودول التحرر الوطني، التي كان من أبرز قادتها جمال عبد الناصر (مصر)، وجواهر لال نهرو وأنديرا غاندي (الهند)، وجوزيف بروز تيتو (يوغوسلافيا). وبانضمام ماو تسي تونغ

البلدان الأصلية عام ٢٠٠٧.

وإذا كانت الأمم المتحدة قد أنشأت تيمور الشرقية بقرار من مجلس الأمن، وكانت محكمة العدل الدولية في لاهي أفتت بأن انفصال كوسوفو لا ينتهك قواعد القانون الدولي، فإن الاستفتاء السوداني ليس بعيداً عن إشراف وترتيبات الأمم المتحدة، الأمر الذي يحتاج إلى وقفة جدية متعمقة لأفاق تطور حل المسألة القومية في بلداننا، بما فيها المسألة الكردية، لاسيما استناداً إلى قراءة مبدأ حق تقرير المصير في ظل التطورات الدولية الراهنة □

واستناداً إلى الإعلان، اعتُبر إعلان الاستقلال هو الطريقة الوحيدة لتحقيق حق تقرير المصير بصورة حتمية، الأمر الذي يجعل حق تقرير المصير يتجاوز الحالة الاستعمارية واستقلال البلدان التابعة والمستعمرة، وهو ما جاءت تقنياته، خصوصاً بصور القرار الرقم (٢٦٢٥) في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٠ تحت عنوان «إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بعلاقات الصداقة والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة»، وإعلان حقوق الأقليات عام ١٩٩٢، وإعلان حقوق شعوب

صدر حديثاً

دراسات

في تاريخ العلوم العربية وفلسفتها

د. رشدي راشد



٤٦٩ صفحة

الثمن: ٢٠ دولاراً

أو ما يعادلها

يعالج المؤلف، ببصيرة العالم المتممّ بقضايا تراث العلوم العربية، منهجاً وتاريخاً وموضوعاً وفلسفةً، واقع البحث العلمي العربي، قديماً وحديثاً، فيرى أن هذا البحث ما زال في بداية الطريق، ولا نعرف منه وعنه إلا اليسير المتواضع، فلم يُحقّق من نصوصه، وفُقِّ أصول التحقيق العلمي، وبشكل متأنّ، إلّا ما ندر.

ويرى المؤلف أن هذه الدراسة للتراث لا تهدف إلى الرجوع إلى الماضي للتغنّي والتفاخر به، فهي ككل دراسة تاريخية لا تستحق العناء إن لم تأخذ بنا إلى التفكير في الحاضر وإقامته على أسس صلبة. فالغرض من هذا الكتاب، إذن، هو المعرفة الموضوعية الدقيقة بذاكرة الأمة. فلا وجود لأمة فاقدة الذاكرة، جاهلة بتكوينها، كما لا يمكن لتجديد أو بعث أن يقوم بدون هذه المعرفة. والعلوم الرياضية وغيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية، وباختصار كل الممارسات العقلانية، هي من أهم مكوّنات الذاكرة.